ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Dr. wisam abbas jaaja
College of Arts / University of Wasit
Email: wabbas@uowasit.edu.iq

Keywords: Qur'an, cosmological vision, narrative, time.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 21Apr 2025
Accepted 19Jun 2025
Available online 1 Jul 2025

مجلة لارك للدراسات اللغوية والعلوم الاجتماعية

Interpreting Time in the Qur'anic Text: Between Cosmological Vision and Narrative Structure

Abstract:

This study offers a hermeneutic reading of the possible meanings of time in the Qur'anic text, examining the interplay between the cosmological vision and narrative structure, with a focus on time in both its textual and ontological dimensions. It aims to uncover the interrelatedness of these two aspects and their stylistic and intellectual significance in shaping Qur'anic storytelling, while also highlighting their spiritual and epistemological implications. The research proceeds from the hypothesis that time in the Qur'anic narrative is not a neutral external frame but a dynamic, directive element that conveys profound theological and moral messages. The study begins with a brief conceptual framework outlining philosophical and religious conceptions of time, then surveys major intellectual approaches to understanding its nature, emphasizing the Qur'anic cosmological perspective, which sees time as inherently tied to divine action in creation, resurrection, and judgment. The research then explores key forms of narrative time in Qur'anic stories, such as chronological order, analepsis (flashback), prolepsis (foreshadowing), and time compression, demonstrating how these techniques serve to intensify meaning and create aesthetic impact without relying on linear sequencing. Finally, the study examines how time influences character development and plot structure, showing how it interweaves with transformations in character attitudes and spiritual journeys, supported by examples from the stories of Moses and al-Khidr, the People of the Cave, and Joseph (peace be upon them).

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4467

م. د. وسام عباس جعيجع/ كلية الآداب/جامعة واسط

الملخّص

يحاول هذا البحث تقديم قراءة تأويلية للدلالات الممكنة بين الرؤية الكونية والتشكيل السردي في النص القرآني, مسلطًا الضوء على الزمن في بُعديه: النصِّي والحقيقي؛ سعيًا إلى اكتشاف العلاقات المشتركة بين هذين البُعدين, وإبراز أهميتها الأسلوبية والفكرية في بناء القصص القرآني، فضلاً عن بيان دلالاتها الروحية والمعرفية. وقد انطلق البحث من فرضية أن الزمن في القصص القرآني لا يُستعمل بوصفه إطارًا خارجيًّا محايدًا، بل هو عنصر فعّال ومُوجِّه للفعل السردي، وناقل لمضامين عقائدية وتربوية عميقة.

يتضمن البحث الإطار المفاهيمي لنشأة تصورات الزمن في الفلسفة والدين بصورة موجزة، من ثم يستعرض أبرز الاتجاهات الفكرية التي حاولت تفسير ماهية الزمن، مع الإشارة إلى خصوصية الرؤية الكونية القرآنية في إدراك الزمن بوصفه كيانًا مرتبطًا بالحركة الإلهية في الخلق والبعث والجزاء. من ثم ينتقل إلى تتبع أبرز أشكال الزمن السردي في القصص القرآني، مثل: الترتيب الزمني، والاسترجاع، والاستباق، وطي الزمن، مبرزًا كيف يوظّف السرد القرآني هذه التقنيات لتحقيق التكثيف المعنوي، والتأثير الجمالي، دون الخضوع للترتيب الخطِّي الحرفي للأحداث. لينتقل بعد ذلك للبحث في أثر الزمن في تشكيل الشخصيات وبناء الحبكة، محاولًا إيضاح الكيفية التي يتداخل بها الزمن مع تطور الشخصيات، ومراحل التحول في مواقفها، مستندًا إلى أمثلة منها قصة موسى والعبد الصالح، وأصحاب الكهف، ويوسف عليهم السلام .

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الرؤية الكونية, السرد، الزمن.

المقدمة

يُعدّ الزمن أحد المفاهيم المحورية التي شغلت العقل الإنساني على امتداد الحضارات، فهو الوعاء الذي تتحرك فيه الكائنات، وتتشكل ضمنه الأحداث، وتُبنى عليه التصورات عن الحياة والموت والوجود والمصير. وإذا كان الزمن قد أخذ في الفلسفة والدين والفن بعدًا مركزيًّا، فإنّ حضوره في النصوص المقدسة يأخذ طابعًا وجوديًّا ومعرفيًّا بالغ العمق، خصوصًا في القرآن الكريم، حيث لا يرد بوصفه ظرفًا جامدًا، بل كيانًا ذا فاعلية ومعنى، مرتبطًا بالخلق والتدبير والبعث والجزاء.

ومن بين أنماط الخطاب القرآني، يبرز السرد في تجلِّيه الأوضح في القصص القرآني بوصفه المجال الأوضح الذي يمكن أن يرفد عملية التأويل بدلالات الزمن بأوضح صورها، سواء من حيث بنية السرد وتسلسل الأحداث، أو من حيث فلسفة التحول والابتلاء والسنن الكونية. وإذا كان السرد في الأدب _ بحسب حميد

لحمداني _ هو الكيفية التي تروى بها القصة والمؤثرات التي تؤثر في صياغتها من العناصر الفنية الداخلية، إلى ما يتعلق بالقصة ذاتها (الحمداني،1991،ص45)؛ فالقصة القرآنية تشترك مع هذا الفن الأدبي بهذه التوظيفات الأسلوبية وتتجاوزها إلى أبعاد واقعية, وفكرية كبرى, ومنها الزمن بدلالاته الأسلوبية والواقعية والفلسفية؛ إذ لا تقتصر على حكاية الماضي، بل تستثمر الزمن لتقديم نماذج إنسانية، وتعيد ترتيب الذاكرة والوعي الإنساني ضمن منظور توحيدي شمولي يقدم رؤية كونية عميقة للإنسان والعالم.

لقد اتجهت هذه الدراسة إلى استجلاء الدلالات الكامنة للزمن بين الرؤية الكونية والتشكيل السردي في النص القرآني, خاصة في القصص التي جاءت في القرآن الكريم, وذلك من زاويتين:

الأولى سردية، تهتم بكيفية تمثل الزمن في التشكيل السردي، بأنواعه، وأساليبه. والثانية فلسفية، تبحث في دلالة الزمن بوصفه كيانًا يتجاوز البعد التقليدي، ويتصل بتصورات الإنسان عن ذاته وعلاقته بالله والعالم والمصير. ومنهجية الدراسة تمثِّل محاولة متواضعة للتعشيق بين علم السرد والتحليل الفلسفي لفهم جانب من النص القرآني. وقد انبثقت أهمية هذه الدراسة من حاجة السرديات القرآنية إلى مقاربات تجمع بين التحليل الأدبي والفهم التأويلي، في طموح نحو الكشف عن عمق الرؤية القرآنية للزمن من خلال نصوصه القصصية، خصوصًا في ظل التحديات التي تفرضها القراءة الحداثية للنصوص الدينية.

المبحث الأول: الزمن في بعده الفلسفي

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يعدُّ الزمن من الموضوعات الفلسفية التي شغلت اهتمام كثير من الفلاسفة منذ العصور القديمة، وقد تنوعت الآراء حول طبيعته، وظلَّ يمثل إشكالية كبيرة في التفكير الفلسفي. وقد تمثل هذا التنوع في النظر إلى الزمن بين من ينكره وبين من يراه عنصراً أساسياً في فهم الوجود، فكيف نظر الفلاسفة إلى الزمن؟ وهل يتسق هذا مع الرؤية القرآنية للزمن؟ هذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه في هذا المبحث من خلال استعراض آراء الفلاسفة حول الزمن ثم ربطها بالرؤية القرآنية في فهم الزمن, بحسب التصورات التي يقدمها هذا البحث.

الزمن في الفلسفة اليونانية

في الفلسفة اليونانية، كان هناك تصوران رئيسان حول الزمن. أولهما، الذي طرحه الفيلسوف أفلاطون الذي عدَّ الزمن مقدارًا حركيًّا" متأثرًا بحركة الأجرام السماوية. وبالنسبة له، كان الزمن جزءًا من الكون الذي أبدعه الخالق، ويجب أن يفهم بوصفه حركة منظَّمة مرتبطة بالعقل والعالم المثالي. من خلال هذا التصور، يمكن القول إن الزمن في فلسفة أفلاطون يمثل امتدادًا للحركة في عالم المادة، وإنه تابع للزمان الميتافيزيقي الذي لا يتغير(ينظر: أبو الخير, 2018, 168_119, و: أفلاطون, 1994, ص386, و: كرم, 1936, ص104).

أما أرسطو، فقد نظر إلى الزمن من زاوية مختلفة تمامًا, فبالنسبة له, الزمن ليس كائنًا مستقلًا عن الحركة، بل هو تابع لها. وهو عند أرسطو ليس موجودًا بذاته، بل هو مقياس للحركة, وبذلك كان الزمن بالنسبة له مجرد إدراك للزمن الحركي المتغير(بدوي, 1973, ص48, و: ستيس, 1984, ص241).

الزمن في الفلسفة الحديثة

تغيرت النظرة التقليدية للزمن مع إيمانويل كانط, فهو لم ينظر إلى الزمن بوصفه كائنًا موضوعيًا، بل عدَّه صورة من صور الإدراك البشري. ورأى أن الزمن ليس خاصية موجودة في العالم الخارجي، بل هو "فئة ضرورية" في العقل البشري لتمكيننا من تصور الأحداث والتفاعل معها. إذن، يرى كانط أن الزمن هو جزء من الطريقة التي يُنظم بها العقل معلوماته عن العالم, وفي الفلسفة المعاصرة، قدم أينشتاين مفهومًا جديدًا للزمن من خلال نظريته في النسبية، إذ أصبح الزمن في نظره مرتبطًا بالفضاء وبما يُسمى بـ(الزمكان). وقد بيّن أن الزمن ليس ثابتًا، بل يتأثر بالحركة والكتلة، وأنه ليس ثابتًا كما كان يُعتقد سابقًا, (رونتال, يودين, 1985, ص235_236). من جانب آخر نجد من نظر إلى الزمن مقترنًا بالشعور الإنساني كما في فلسفة شوبنهاور الذي عدَّ الزمن ينبوع موت, وسببًا أصيلًا للشقاء والمعاناة الإنسانية, (غريزي, 2008, 259).

الزمن في الفلسفة الإسلامية

تناول عدد من الفلاسفة المسلمين مسألة الزمن، وخصوصًا في إطار علاقتهم بالفكر الديني والفلسفي الإلهي, وتميزت تصوراتهم عن الزمن بشيء من الاختلافات، إذ ظهرت رؤى تتراوح بين إنكار الزمن بوصفه وجودًا مستقلًا وبين قبوله بوصفه خاصية إلهية (ينظر: الألوسي, ص65_66). وقد نظر الفلاسفة المسلمون ومنهم الكندي وابن سينا إلى الزمن بوصفه عنصرًا مخلوقًا من قبل الله سبحانه، وهو يتسق مع رؤية الإسلام لوجود العالم؛ فالزمان ليس موجودًا بذاته، بل هو مخلوق من قبل الخالق في إطار الزمان والمكان، وهو جزء من النظام الإلهي, ولكن بشيء من الاختلاف فابن سينا، على سبيل المثال، كان يوافق اعتقاد أرسطو بأن الزمن مرتبط بعنصر الحركة، وأنه لا يمكن أن يوجد دون حركة الأجسام, (ينظر: مطهري, ص80 وما بعدها, و: العاتي, 1993, ص109_110).

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى المعنى الذي يربط الزمن بالخلق الإلهي، منها قوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ),** (الإسراء: 12). بما يعني أن الزمن جزء لا ينفصل عن المشيئة الإلهية, ونجد هذه الفكرة سائدة في تفاسير القرآن الكريم، إذ جرى تفسيره بوصفه أداة من أدوات تنفيذ مشيئة الله في خلقه، فالله سبحانه يسيطر عليه كما يسيطر على سائر المخلوقات, وبالنسبة للمؤمنين، فالزمن لا يتقدم بشكل عشوائي، بل هو مرتبط بمقاصد إلهية غايتها هداية الإنسان إلى ربه. وخلاصة الرأي أن الفلسفة الإسلامية عمومًا نظرت إلى الزمن ضمن منظورها العام للكون وتفسيرها الإلهي للعِلّية والحركة وغيرها من المفاهيم بوصفها عناصر

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

خاضعة لنظام السنن الإلهية, أو (السنن التاريخية) (الصدر, 1431, ص233, و393), و(الصدر, 2011, ص72 وما بعدها).

الزمن من التصورات المادية إلى الرؤية القرآنية

كان الاعتقاد السائد لدى عدد من القبائل العربية قبل الإسلام بأن الحياة الدنيا هي الوجود الوحيد، لذا فهم لا يؤمنون ببعث أو حياة بعد الموت. فكانوا يتصورون أن الإنسان يموت ثم يُنسى، وأن ما يهلكه هو (الدهر) أي الزمن، وليس هناك حساب أو جزاء بعد الموت. وهذا الاعتقاد يعبر عن تصور مادي للوجود ينكر الغيب والآخرة، وقد ورد في القرآن الكريم ردٌّ على هذا التصور الجاهلي المبني على الظن, في قوله تعالى: **(وقالوا ما هي إلا حياتُنا الدُّنيا نموتُ ونحيا وما يُهلكُنا إلا الدَّهر, وما لهم بذلك من علمٍ إن هم إلا يظنون)**, (الجاثية: 24), (شبَّر, 1426ه, ص741).

ولكن هذا التصور ليس مطلقاً فبعض القبائل العربية ممن لا تدين بالمسيحية واليهودية كان لديها ما يشير إلى الاعتقاد بالبعث بعد الموت؛ إذ كانوا يدفنون الجمل أو الناقة مع صاحبها المتوفى ليُبعَثَ عليها (ابن الأثير, 1987م, ص 70_71). ولكن تصورات تلك القبائل الجاهلية للزمن عموماً ظلت مبهمة ومرتابة وغير منتظمة, ولا يمكن قياسها بالوضوح والعمق الذي قدمته الرؤية القرآنية, كما أن معظمها يندرج في سياق التفسيرات الأسطورية التي تمثِّل في بعض جوانبها حاجة كل قبيلة إلى ما يوحِّد فيها روح الجماعة, وهذا أحد الغايات الأساسية في نشأة الأساطير وتداولها واستمراريتها (السواح, 2017, ص12_14), و: (شتراوس, 1986). و(الشامي, 1991, ص32) .

يقدم القرآن الكريم الزمن بوصفه مفهومًا متعلقًا بالقدرة الإلهية المطلقة، وضمن أبعاد تختلف عن الفهم الفلسفي له في ضوء الفكر الإنساني؛ فالزمن القرآني ليس مجرد سلسلة من اللحظات المتتالية، بل هو وسيلة لتحقيق الغايات الإلهية وتوجيه الإنسان نحو أهدافه الروحية.

يجري عرض الزمن في القرآن الكريم، بوصفه واحدة من الأدوات الإلهية لتوجيه حياة البشر, ففي قوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ),** (الإسراء: 12)، يُظهر القرآن الكريم كيف أن الزمن، بمراحله المختلفة (الليل والنهار)، هو وسيلة للتأمل والتدبر في خلق الله، وهو دعوة للمؤمنين للتفكر في عظمة الخالق.

ومن خلال تتبع عدد كبير من الآيات القرآنية الكريمة، نجد أن الزمن يرتبط بمفهوم الحساب والبعث. ففي القرآن الكريم، يُذكر أن الزمن في الدنيا ليس أبديًا، وأن النهاية حتمية، وأن الزمن بعد البعث والحساب يتجاوز الزمن الأرضي، ويحقق مبدأ الخلود. هذا البُعد الزمني يُظهر كيف أن الزمن في القرآن الكريم ليس خطيًا كما في التصورات البشرية، بل هو جزء من دورة إلهية تتضمن القيامة والحساب, يقول سبحانه عن المتقين: **(قُل**

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أؤنبئُكُم بخيرٍ من ذلكم للذين اتقوا عند ربِّهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها) (آل عمران: 15), ويقول سبحانه عن الكافرين: **(خالدين فيها لا يُخفَّفُ عنهم العذابُ ولا هُم يُنظَرون)** (البقرة: 162).

الزمن في القرآن: بين الدلالة الفلسفية والممارسة السردية

ولا يتمظهر الزمن في القرآن الكريم بوصفه بعدًا عنصرًا فلسفيًّا وحسب, وإنما بوصفه عنصرًا سرديًّا يعمل على تشكيل الأحداث, وتوجيه القيم التي تُعرض في القصص القرآني, فلا يغدو الزمن مجرد تسلسل للأحداث، بل أداة لإيصال الرسالة الإلهية من خلال طريقة تقديمه في القصص القرآني, ونلاحظ أن الزمن في القصص القرآني يعمل على مستوى فلسفي وسردي في آن واحد, فالفهم القرآني للزمن يتجاوز التصور البشري المحدود، ويُبرز كيف أن الزمن لا يتبع دائمًا التتابع التقليدي للأحداث، بل يُعاد تشكيله بشكل يتيح التركيز على الدروس الأخلاقية والروحانية التي يريد القرآن الكريم إيصالها.

وإذا كان الزمن في الفكر الفلسفي، من أفلاطون وأرسطو إلى كانط وأينشتاين، يظهر بصفته مفهومًا يعبّر عن علاقة الإنسان بالحركة والإدراك؛ فإنه في المقابل يظهر في القرآن الكريم بصفته الإلهية, فهو مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وآية من آياته, لذا لا يُنظر إليه على أنه حركة متواصلة، بل أداة لتحقيق المقاصد الإلهية. وهكذا، يمكن عد الزمن في القرآن، سواء من ناحية فلسفية أو سردية، عنصرًا محوريًا في توجيه الإنسان نحو الوعي الروحي، ويظهر ذلك بوضوح في القصص القرآني التي تتعامل مع الزمن على أنه جزء من خطة إلهية شاملة ضمن النظام الكوني.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المبحث الثاني: الزمن في القصص القرآني: تنظيم السرد واستعمالاته

يُعدُّ القصص القرآني واحدًا من أبرز الأساليب التي استعملها القرآن الكريم لتوجيه الناس وإيصال الدروس والعبر من خلال سرد الأحداث التاريخية والقصصية. تتسم هذه القصص بتوظيف خاص للزمن يعبر عن الغايات الإلهية، وهو ما يميز القصص القرآني عن القصص الأدبي أو القصص التقليدي الذي يعتمد على تطور الأحداث بترتيب خطي تقليدي. وسأحاول في هذا المبحث، القيام بتحليل الزمن في القصص القرآني من خلال تنظيم السرد القرآني واستعمالاته التي تعبّر عن غايات تعليمية وتوجيهية.

القص والقَصص

القص لغة: هو تتبع الأثر عمومًا, وحُمل المعنى إلى التتبع عامة, ومنه تتبع الأخبار وقص الوقائع, وهو أن الذي يقوم بعملية القص يتتابع لديه الخبر ويتابع بعضه بعضا (الزبيدي, ص 4507)، ومنه قوله سبحانه: **(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)**, (القصص:11). أي تتبعي أثره. وقال تعالى: **(فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً)**, (الكهف: 64). أي: رجعا من الطريق الذي قطعاه. وكذل يأتي معنى القص : بأنه البيان. ومنه قوله تعالى: **(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)**, (يوسف:3). ومنه قوله تعالى: **(فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**, (الأعراف:

176). وقوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)**, (غافر: 78). فالذي يقوم بعملية القص هو من يسرد القصة متتبعًا تسلسلاً خاصًّا في تعاقب أحداثها في المكان والزمان, مورداً التفصيلات والمضامين والألفاظ.

الزمن غير الخطي في القصص القرآني

يظهر استعمال غير تقليدي للزمن في القصص القرآني؛ فهو يتداخل مع المكان بشكل غير خطي, والسرد القرآني لا يلتزم بالترتيب الزمني المعتاد للأحداث، بل يتبع ترتيبًا يخدم الغرض التربوي والروحي للمستمع أو القارئ, ويعدُّ هذا التوظيف للزمن أحد الخصائص الفريدة التي تجعل القصص القرآني أكثر قدرة على التأثير، وتوجيه الأنظار إلى ما هو أهم من مجريات الأحداث نفسها، وهو الدرس والعبرة.

ونلاحظ أن القصص القرآني يتبع منهجًا خاصًا في تناول الأحداث والوقائع الزمنية, فمثلًا في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، يتنقل القرآن بين مراحل زمنية مختلفة من حياة النبي, (من الطفولة إلى النبوة)، دون التقيد بتسلسل زمني دقيق, مثال ذلك: **(وقال الذي اشتَراهُ من مصر لامرأتِهِ أكرِمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتَّخذهُ ولدا وكذلك مكَّنا ليوسفَ في الأرضِ ولنعلمه من تأويلِ الأحاديثِ واللهُ غالبٌ على أمرهِ ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون)**, (يوسف: 21). فكل مرحلة من مراحل حياة يوسف تأخذ بعدها في السرد لحظات زمنية متقطعة هدفها إبراز الدروس المهمة في تلك المراحل، ومنها التوكل على الله، والصبر، والعدل، والمغفرة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المفاجآت الزمنية والتبديلات السريعة

ومن السمات الأخرى التي يتميز بها السرد القرآني؛ ذلك الانتقال المفاجئ بين الأزمنة, ففي بعض الأحيان، يتم الانتقال بين حدثين زمنيَّين مختلفين في جملة واحدة، مما يعطي السرد ديناميكية وقدرة على إبراز النقاط الجوهرية في كل مرحلة زمنية من حياة الشخصيات، فنجد في قصة موسى عليه السلام، أن الانتقال بين أحداث زمنية معينة يكون فجائيًا، فقد ننتقل من مرحلة طفولة موسى إلى نضوجه، ثم إلى رسالته، وذلك دون التوقف الطويل عند التفاصيل الزمنية الأخرى: **(إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ)**, (طه: 40). وهذه الانتقالات تعبّر عن أهمية الفكرة والرسالة التي يريد القرآن نقلها في كل مرحلة من حياة الأنبياء.

الزمن وأثره في البنية السردية

ونجد أن القصص القرآني لا يعتمد فقط على الزمن بوصفه عاملًا مستقلًا، بل يستعمله بوصفه أحد الأجزاء الأساسية من البنية السردية التي تنظم الأحداث وتُبنى حولها الرسائل الإلهية. إن الأحداث في القصص القرآني تأتي منظمة بشكل لا يتبع المنطق الزمني البسيط، بل تتداخل في صورة منسجمة تخدم غايات معينة, (للنظر في تقنيات استعمال الزمن في السرد: القاضي, 2010).

الزمن: البنية الدائرية أو المتكررة

أحد الأساليب البارزة في السرد القرآني هو استعمال الزمن بطريقة دائرية أو متكررة, لذا نجد أن بعض القصص في القرآن الكريم تشير إلى أحداث متشابهة تحدث في فترات زمنية مختلفة لكنها تحمل الدروس والمواعظ نفسها. ففي قصة نوح عليه السلام نلاحظ تكرار فكرة الدعوة إلى الله ومحاولة نوح إقناع قومه حتى بعد سنوات طويلة من بداية دعوته التي لم تنجح إلا مع القلة منهم, وهذا التكرار في الأحداث يظهر كيف أن الزمن في القرآن الكريم قد لا يتسلسل بشكل خطي، بل يجري أو يُقدَّم بصيغة دائرية تكرارية تهدف إلى تعزيز المفاهيم التربوية والروحية.

كما يمكن أن نلاحظ أن الزمن في القصص القرآني يرتبط بالتغيير الروحي والمكاني للشخصيات, ففي قصة فرعون، نجد أن الزمن يتداخل مع التغيير الداخلي والخارجي لشخصيته, بدايةً من طغيانه ورفضه لرسالة موسى عليه السلام، وصولًا إلى لحظة غرقه في البحر, فالزمن هنا لا يُنظر إليه كمتوالية من الأحداث، بل كأداة لقياس التغيرات الداخلية للشخصيات التي تتفاعل مع المواقف وتدرك نتائج أفعالها.

ولا تقتصر فاعلية الزمن في القصص القرآني على السرد الحي للأحداث فقط، بل يمتد تأثيره إلى الغياب الزمني أو ما يمكن تسميته "المراحل المفقودة". في بعض القصص القرآني، لا يتوقف النص عند تفاصيل دقيقة للزمن بين الأحداث، مما يفتح المجال للقراءة الرمزية والروحية لهذه الفترات. وفي بعض الأحيان، يترك القرآن فترات زمنية غير معروفة أو غامضة، مثلًا في قصة أصحاب الكهف, لا يحدد القرآن الكريم بشكل دقيق كم من الزمن قضوه في الكهف، واكتفى بالإشارة إلى أن الله سبحانه هو الأعلم بذلك: (**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**), (الكهف: 25,26). ولعل هذه الفترات الغامضة قد تكون مدخلًا للتأمل في حقيقة الزمن، وكيف أن الإنسان لا يستطيع تحديد زمن الأحداث بدقة، لأن الزمن الحقيقي بيد الله سبحانه.

ومن الممكن القول: لعل غياب الزمن أو عدم توضيحه بدقة في بعض القصص القرآني له تأثير نفسي عميق على المتلقي؛ فبدلاً من أن يركز القارئ أو المستمع على المعطيات الزمنية الخارجية، يُوجه انتباهه إلى المعاني الروحية والفكرية التي تُستخلص من القصص. وهذه الكيفية في توظيف الزمن تسهم في إظهار الفرق بين الزمن الذي يديره الإنسان والزمن الذي يديره الله سبحانه وتعالى، مما يعزز الاعتراف بقدرة الله المطلقة في تدبير الأمور.

ويمكن أن نستنتج من ذلك التوظيف أن استعمالات الزمن في القرآن الكريم تحمل بين غاياتها مقصدًا لتكثيف الرسائل والعبر عبر الفترات الزمنية المختلفة، بحيث تكون العبرة هي المحور الأساسي الذي يدور حوله

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الحدث, والزمن في هذا السياق ليس مجرد إطار للأحداث، بل هو وسيلة للإشارة إلى نتائج الأفعال والقرارات، سواء كانت تلك النتائج فورية أو مستقبلة.

ومن الغايات الأخرى الكثيرة التي يمكن استنتاجها من توظيف الزمن في النص القرآني؛ هي التوظيفات الخاصة لاختبار الصبر الإنساني أمام المحن والابتلاءات, ففي قصة أيوب عليه السلام، يمثل الزمن الطويل الذي أمضاه النبي في مرضه مع زوجته اختبارًا للصبر والثبات, لذا فالزمن في هذه القصة ليس مجرد طول للمدة، بل هو اختبار يسهم في تنقية الروح وزيادة الإيمان, (ينظر: الأنبياء, و: ص). ومن الممكن أن نستنتج أن النص القرآني أيضًا يستخدم الزمن للإشارة إلى الجزاء الآتي، سواء كان في الدنيا أو الآخرة. ولنا أن نتمثَّل بقصة أهل الكهف مرة أخرى، إذ يُظهر الزمن الذي قضاه الفتيان في الكهف عناية الله بهم، مما يسلط الضوء على كيفية تنوع الجزاء عبر الزمن، فبعض الجزاء يكون في الدنيا وبعضه في الآخرة. كل هذه الملاحظات والاستنتاجات تدلنا على ما يتميز به الزمن في النص القرآني, واستعمالاته غير التقليدية التي تُظهر قدرة السرد القرآني على توظيف الزمن بشكل يخدم الغايات الإرشادية الكبرى.

إن عدم اقتصار الزمن في القرآن الكريم على ترتيب الأحداث بشكل خطي، يتم استثماره بشكل يدعو للتأمل في معاني الأفعال ونتائجها. كما أن الزمن يصبح وسيلة لقياس التغيير الروحي والأخلاقي في الشخصيات القرآنية، ويعكس عمق العلاقة بين الإنسان وخالقه. من خلال هذه الرؤية، يُقدّم الزمن في القرآن الكريم بوصفه عنصرًا متحرّكًا ومؤثرًا يعين المتلقي على فهم العبر المستفادة وتطبيقها في الحياة اليومية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المبحث الثالث: الزمن في النص القرآني بين البعد الفلسفي والرؤية الكونية

يتجاوز الزمن في القرآن الكريم _ وخاصة في القصص _ الإطارَ الترتيبيَّ للأحداث، ليغدو مفهومًا ذا أبعاد فلسفية عميقة ورؤية كونية شاملة، تُظهر تصوّر الوحي الإلهي لحقيقة الوجود الإنساني، وسيرورة الحياة، وتوالي النواميس الكونية، ونسبية التجربة البشرية في مواجهة الزمن الإلهي المطلق. فبينما ينشغل الإنسان باللحظة والآن، ويتأثر بحدود الزمن الحسي، يقترح القرآن الكريم تصورًا متجاوزًا، يجعل الزمن ساحة للامتحان، ومجالًا للتغير، ومُنبّهًا دائمًا إلى الغائية الكبرى من الوجود: (**وما هذه الحياة الدُّنيا إلا لهوٌ ولعبٌ وإنَّ الدار الآخرةَ لهيَ الحيوانُ لو كانوا يعلمون**). (العنكبوت, 64).

الزمن والاختبار الفلسفي لحرية الإنسان ومصيره

يمكن تأويل الزمن في النص القرآني بأنه أحد أهم تجليات التجربة الوجودية التي يخوضها الإنسان، إذ يُقدَّم بوصفه وسيلة لاختبار مدى ثبات الإنسان على الحق في مواجهة العوائق والتقلبات, فالسرد القرآني – رغم ثرائه بالأحداث – لا ينقل الوقائع لمجرد التوثيق التاريخي، بل يعيد تأويل الزمن ليكون محكًّا للتمييز بين الثابت والمتحول، والحق والباطل، والهدى والضلال.

في قصة إبراهيم عليه السلام، يُصوَّر الزمن بوصفه مساحة تمارس فيها الإرادة الإنسانية حريتها في مواجهة الجبر التاريخي والاجتماعي والديني, يخرج إبراهيم عليه السلام من زمن مجتمعه بكل ما فيه من إرثٍ عقائديٍّ وثنيٍّ وجاهليٍّ, إلى الزمن الخاص بالوحي والرسالة والوحدانية، ومن الزمن المقيَّد بالعادات والتقاليد الموروثة بطابعها البشري, إلى زمن آخر يتعلق بالحقيقة ذات البعد الكوني الإلهي. هذه النقلة الزمنية هي في جوهرها تحوّل وجودي وفلسفي، يؤسس لفكرة أن الزمن في التصور القرآني ليس سيرورة ميكانيكية، بل ساحة قرار واختيار, وقبل كلِّ شيء ساحة مفاضلة واختبار بين رؤى بشرية أسطورية ووثنية, ورؤية كونية واحدة ذات خصوصية إلهية.

يؤسَس التشكيل السردي في النص القرآني بناءً على تلك الرؤية الكونية, التي نجد تجلياتها في الصوَر التي ترتبط بالزمن, وتُقدِّم السؤال الفلسفي عن العلاقة بين القدر والإرادة, ففي قصة "فرعون وموسى"، يتخذ الزمن بعدًا دراميًّا يَظهر فيه صراع إرادتين: إرادة بشرية طاغية تدّعي الألوهية، وإرادة إلهية تسير وفق سنن الوجود, والزمن في هذه القصة لا يُظهر فقط تسلسلًا للأحداث، بل يُجسّد صراعًا فلسفيًّا بين الرؤية البشرية المشوهة للزمن (التي يتوهم فرعون أنها أبدية سلطوية)، والزمن الحقيقي المرتبط بالحق وانتصاره في النهاية، مهما طال الزمان.

الرؤية الكونية القرآنية بين المطلق والنسبي:

يتعامل النص القرآني مع الزمن من منظور رؤية كونية إلهية ترى الزمن الأرضي زمنًا نسبيًّا، خاضعًا لتقدير الله ومشيئته، وهو ما يتجلى في كثير من القصص التي تستعرض امتداد حياة أقوام، أو طغيان ملوك، أو صبر أنبياء, وهذا التفاوت بين الزمن الإنساني والزمن الإلهي يدعو الإنسان إلى تجاوز الحسية اللحظية إلى الأفق الأشمل.

وفي كثير من القصص، يُواجه الإنسان بوهم الخلود، كما في قصة قارون, أو فرعون, وغيرهم, فهؤلاء جميعًا خُدِعوا بزمنهم القصير، وظنوا أنه ممتد إلى الأبد، أو غفلوا عن حقيقة المصير المحتوم الذي ينتظرهم, فجاء القصص القرآني ليكشف زيف هذا التصور، ويضع الإنسان في مواجهة الزمن الحقيقي، إذ الأفعال تحصَى، والنتائج تأتي عاجلًا أو آجلًا: **(ونادى أصحابُ الجنةِ أصحابَ النَّارِ أن قد وجدنا ما وعَدَنا ربُنا حقًّا فهل وجدتُم ما وعدَ ربُّكم حقًّا قالوا نعم فأذَّن مؤذنٌ بينهم أن لعنةُ اللهِ على الظالمين),** (الأعراف: 44).

فالسرد القرآني إذن يُجيد توظيف لحظات الانكشاف الحاسمة، وهي اللحظات التي تنهار فيها أوهام الزمن الإنساني أمام الحقيقة الإلهية. ففي مثالٍ آخر يصور لحظة غرق فرعون، يُدرك الأخير فجأة خطأه بعد طول عتوٍّ واستكبار بأن الزمن الذي كان يتوهم امتلاكه قد انتهى. هذه اللحظة هي لحظة فلسفية تُجسّد مأساة الإنسان حين ينفصل وعيه عن الزمن الحق، ويصحو متأخرًا. وكذلك الحال في قصة أصحاب الكهف، حين يستفيقون بعد ثلاثمئة سنة، فيكون الزمن قد غيّر كل شيء، باستثناء إيمانهم.

الزمن والخلود الأخلاقي في الرؤية القرآنية

إن الرؤية القرآنية للزمن ليست مادية فقط، بل هي نابعةٌ من تصور أخلاقي عميق؛ فالقصة القرآنية تؤسس لفكرة الزمن ببعده الأخلاقي، أي أن البقاء الحقيقي ليس للمُلك أو للقوة، بل للذكر الحسن، والموقف الصالح، والنية الخالصة, وهذا البُعد يجعل من القصص القرآني خطابًا ضد النسيان، وضد فناء المعنى.

نجد أن القرآن الكريم يكرّس فكرة أن الخير يبقى، كما في قوله عن إبراهيم: **(وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا),** (مريم: 50). فخلود الزمن في القصص لا يُقاس بالمدة الزمنية، بل بمدى حضور الفعل الأخلاقي في الوعي البشري المتجدد, وهذا يبرز بوضوح في القصص التي يُذكر فيها الأنبياء بوصفهم رموزًا خالدة للبشرية، بينما تُطوى صفحة الظالمين مهما امتدت أعمارهم أو عظمت قوتهم.

كما يتجلى الزمن في النص القرآني بصفته حاضنًا للقيم السامية والمُثل العليا: الصبر، الثبات، الإيمان، التوكل، التوبة، المحبة, وهي القيم التي لا تُولد فجأة، بل تنضج عبر الزمن، وتُختبر بالتقلبات، كما نرى في قصة يوسف عليه السلام، إذ يكون الزمن سياقًا لتفتح تلك القيم وتطورها أو ظهورها. إنه زمن يتعلق بالبعد الأخلاقي بالمعنى العميق، إذ لا يُقاس بالدقائق والساعات، بل بدرجة ارتقاء النفس واتساعها, لذلك حين تأتي لحظة سجود عائلة يوسف عليه السلام بين يديه, بعد سنين؛ يذكر النبيُّ بالرؤيا التي رآها من قبل, فتلتقي النهاياتُ بالبدايات في صورةٍ تجمعُ بين روعة الأسلوب, وعظمة العِبرة, وحيثُ تبدأُ الأشياءُ وتنتهي بإرادة الله سبحانه وحده: **(ورفعَ أبويهِ على العرشِ وخرُّوا له سجَّدًا وقال يا أبتِ هذا تأويلُ رؤيايَ من قبلُ قد جعلها ربِّي حقًّا...),** (يوسف: 100).

وتتجلّى في النص القرآني رؤيا فلسفية حول المصير، إذ يُستثمر الزمن ليكون طريقًا نحو الآخرة، لا مجرد ساحة لمكاسب الدنيا, فالزمن ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة تُوظَّف لتوجيه الإنسان نحو الحقّ, وهذا ما يجعل القصص القرآني لا يكتفي ببيان الماضي، بل يشير دائمًا إلى المستقبل المطلق: يوم القيامة. وتنقل الرؤية الكونية القرآنية القارئ من أحداث تجري في الزمن النسبي إلى إدراك نتائجها في الزمن المطلق، كإشارة إلى أن القصة لا تنتهي بزمنها التاريخي، بل تتصل بالمصير النهائي. قصة قوم لوط، أو عاد، أو ثمود، لا تكتفي بسرد ما حدث لهم، بل تشير إلى أن عاقبتهم تُنذر الآخرين، وتجعل الزمن كله مجالًا للعبرة.

والرؤية القرآنية للزمن ترسّخ أن كل لحظة تحمل في طياتها بذور الخاتمة والمصير, فما من لحظة تمر إلا وهي خطوة نحو الحساب، وكل فعل يُؤرَّخ في سجل زمني محفوظ, وهذا ما يعطي للزمن بعده الإلهي، ويمنحه وظيفة روحية قائمة على التذكير بالآخرة. والزمن في القصص القرآني ليس مجرَّد إطار للسرد أو وسيلة لترتيب الوقائع، بل هو حامل لرؤية فلسفية وروحية تُعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والمطلق، بين الحاضر والمصير، بين الحدث والمعنى. إنه زمن يُسائل الإنسان عن موقعه في الوجود، ويكشف له نسبيته وضعفه

ومحدوديته، ويقترح عليه مسارًا أخلاقيًّا يُفضي إلى الخلود الحقّ, لذا فهو مرآة الحقيقة، وطريقٌ إلى الغايات الإلهية الكبرى.

المبحث الرابع: تجليات الزمن بوصفه عنصرًا سرديًّا في النص القرآني:

إن استحضار الزمن في بنية السرد القرآني لا يقتصر على كونه خلفيةً زمنيةً للأحداث، بل يتجاوز ذلك إلى كونه عنصرًا سرديًّا فعّالًا، يتحكم في إيقاع السرد، وتوزيع المشاهد، وبناء التوتر، وتوجيه المتلقي نحو مغزى الحدث أو الحكمة منه. فالزمن في القصص القرآني هو أداة فنية وظيفية تُسهم في تشكيل المعنى والدلالة، وتسهم في تعميق البنية الرمزية, والرمزية الزمنية، كما تُظهر القصص مرونة كبيرة في استعمال تقنيات السرد الزمني، من الاستباق، والاسترجاع، والتقطيع الزمني، والتكثيف، وهي تقنيات تُثري البناء السردي وتُفعّل أثره.

الترتيب الزمني:

إنَّ مرونة الترتيب الزمني تُعد من أبرز ملامح التوظيف السردي للزمن في السرد القرآني، إذ لا يلتزم النص القرآني بالنسق الزمني الخطي الصارم، بل يُعيد ترتيب الأحداث تبعًا للمقصد السردي أو البُعد التربوي، أو لإحداث تأثير عاطفي أو جمالي معين, فالسرد في القرآن الكريم لا يُقدّم الزمن بوصفه تسلسلاً ميكانيكيًّا للأحداث، بل يُعيد تشكيله بحسب طبيعة الخطاب والمخاطَب, ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما نجده في قصة يوسف عليه السلام، إذ يُفتتح السرد مباشرةً برؤيا يوسف عليه السلام:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشمسَ والقمر رأيتهم لي ساجدين. قالَ يا بُنيَّ لا تقصُص رُؤياكَ على إخوتِكَ فَيكيدوا لكَ كيدًا إنَّ الشيطانَ للإنسانِ عدوٌّ مُبين. وكذلك يجتبيكَ ربُّك ويعلِّمُكَ من تأويلِ الأحاديثِ ويتم نعمتَهُ عليكَ وعلى آلِ يعقوبَ كما أتمَّها على أبويكَ من قبلُ إبراهيمَ وإسحاقَ إنَّ ربَّكَ عليمٌ حكيم. لقد كان في يوسفَ وإخوتِه آياتٌ للسائلين. إذ قالوا ليوسفَ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منَّا ونحنُ عصبةٌ إنَّ أبانا لفِي ضلالٍ مُبين. اقتلوا يوسفَ أو اطرحوه أرضًا يخلُ لكُم وجهُ أبيكُم وتكونوا من بعدِهِ قومًا صالحين), (يوسف: 4,5,6,7,8,9)

نلاحظ كيف ينتقل السياق السردي من المشهد الأول إلى موقف الإخوة من يوسف، وتدبيرهم لإلقائه في الجبّ، دون سرد تفصيلي للمدة الزمنية بين الرؤيا وتحقّقها، أو بين الأحداث المتعاقبة، بل يتم التركيز على البُعد الدلالي والتربوي في كل مشهد، حتى تعود الرؤية في نهاية القصة لتتحقّق كما رآها، مما يُشكّل بناءً سرديًّا زمنيًا خاصًّا يُعزّز الرؤية القرآنية الإلهية, في بعدها الكوني والتربوي. وهكذا يتّضح أن الترتيب الزمني في القصص القرآني ليس أداة تنظيم ميقاتي فقط، بل هو أداة فنية وتأويلية في وقتٍ واحد, تُسهم في بناء المعنى، وتوجيه المتلقّي إلى القيم المركزية في النص.

التقديم والتأخير الزمني

كما نلاحظ في كثير من القصص القرآنية تقديمًا لبعض الأحداث, أو تأخيرًا لبعض النتائج، إذا نجد في قصة يوسف عليه السلام نفسها، أن السرد يُفتتح بالحلم، وهو مشهدٌ لاحقٌ من ناحية التحقق، لكنه يقدَّمُ في السرد كبؤرة مركزية يُبنى عليها المعنى الكلي, وهذه التقنية تعمّق الأثر النفسي وتثير فضول المتلقي.

الاستباق

يُستعمل الاستباق أحيانًا لتكثيف المعنى, أو لإحداث مفارقة بين وعي القارئ ووعي الشخصية، كما في قوله تعالى: **(وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ)**, (يوسف: 6). وهو استباق لما سيقع لاحقًا من رفع مكانة يوسف عليه السلام, فالقارئ يُعطى لمحة عن النهاية في بداية القصة، ما يجعله يقرأ الأحداث التالية في ضوء تلك المعرفة.

الاسترجاع والتكثيف الزمني

يوظف القرآن الكريم أسلوب الاسترجاع أحيانًا لربط الأحداث الحالية بأسبابها الماضية، مما يمنح السرد بعدًا تحليليًّا وتفسيريًّا, كما في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، في (سورة الكهف), إذ تُروى الأفعال أولًا، ثم تُسترجع في نهاية اللقاء لتوضيح دلالتها. وهنا يصبح الزمن أداة تفسير وتأويل لا مجرد تسلسل.

وفي كثير من القصص القرآني، يُختزل الزمن الطويل في آيات قصيرة، تختزن مسارات حياة كاملة أو مراحل متعاقبة، كقصة نوح التي ترد أحيانًا في عشر آيات، وأحيانًا بتوسّع أكبر. وهذا التكثيف ليس خللًا بل استراتيجية سردية تهدف للتركيز على المعنى لا على الكم، وتفسح المجال للتأمل.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الإيقاع الزمني وبناء التوتر

للزمن في السرد القرآني إيقاع خاص، يتسارع في لحظات التوتر، ويتباطأ في لحظات التأمل أو الحوار. هذه التقنية تخلق حيوية في السرد، وتمنح القصة مرونة في شدّ انتباه القارئ, فقد نجد تسريعًا زمنيًّا في بعض مراحل القصص، كما في قصة يوسف: **(فَلَمَّا رَآهُ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ)**, (يوسف: 28). أو قصة ذي القرنين مع (يأجوج ومأجوج): **(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)**, (الكهف: 95, 96), فالأحداث هنا تقع بتكثيف لغوي وزمني، دون إطالة في السرد، مما يخدم التصعيد الدرامي.

وفي لحظات محورية، يُبطئ النص الزمن لإبراز أهمية اللحظة، كما في وقوف موسى عليه السلام أمام البحر، أو لحظة غرق فرعون، أو حين يلقي إبراهيم عليه السلام حُجَجه على قومه. ولعل الإبطاء هنا يتيح للمتلقي تأمل اللحظة والتفاعل معها وجدانيًّا وروحيًّا.

الزمن والدوران القصصي (الزمن الدائري)

ومن الضروري أن أشير إلى الفرق بين الزمن الدائري الذي استعمله هنا بدلالته الوجودية أو الفنية, وذلك الزمن الذي تدور في فلكه الأساطير ببعدها الديني بحسب كثير من الباحثين الذين درسوا الأساطير عمومًا, والأساطير العربية منها على وجه الخصوص, (ينظر: السواح, 1996م, و: النعيمي, 1995, ص13). في

بعض القصص، يتخذ الزمن بنية دائرية، تبدأ القصة من نقطة وتنتهي إليها، كما في قصة آدم عليه السلام, إذ يُبدأ بالقصة من لحظة الخلق، ثم السجود، ثم المعصية، ثم الخروج، ثم العودة بالتوبة. وهذا البناء يُرسّخ رؤية قرآنية بأن الحياة الإنسانية هي مسار دائري من الابتلاء والاختبار والعودة إلى الله، ويمنح الزمن بُعدًا روحيًّا يتجاوز الميكانيكية نحو الغائية. أو كما في قصة النبي يوسف عليه السلام التي تبدأ برؤيا ثم تنتهي بتحقق تلك الرؤيا, في صيغة تتجلى فيها الرؤية الكونية من خلال الصيغة الفنية أو التشكيل السردي (كاظم, 2022, ص155).

الزمن بوصفه أداة تكوين الشخصية وتحوّلها

تتطوّر الشخصيات في القصص القرآني زمنيًّا، أي أن مرور الزمن ليس محايدًا، بل يُشكّل الشخصيات ويغيّرها، كما في قصة يوسف عليه السلام, الذي تدرجت حياته مع الزمن من فتى مستضعف إلى حاكم يدير شؤون المستضعفين وينقذ الجائعين في أوقات الجدب, أو كما في قصة موسى عليه السلام, الذي تدرجت حياته من وليدٍ يُخشى عليه من القتل, إلى ملقى في اليم يُخشى عليه من الغرق, ومن خائف مطارد إلى نبيٍّ وقائد أمة. وكما في قصة نوح عليه السلام, من داعية يستهزئُ به سفهاءُ قومه إلى مُنقذٍ حكيم. والزمن في كل هذه المواقف ليس مجرد إطار، بل محرك للتطوّر النفسي والروحي.

إن الزمن في النص القرآني ليس مجرد وعاء لاحتواء الأحداث، بل هو عنصر سردي فني وجمالي يتم توظيفه ببراعة لبناء المشهد، وتصعيد الحبكة، وتحليل الدوافع، وتشكيل المعنى. يستثمر النص القرآني تقنيات السرد الزمني الحديثة (رغم سبقها التاريخي) ليُبرز البعد الرمزي والتربوي، ويجعل من الزمن ذاته كائنًا سرديًّا حيًّا يتحرك مع الحدث، ويتلوّن معه، ويتجاوز الإطار الزمني نحو مغزى الوجود والخلود وتقديم رؤية كونية خالصة.

المبحث الخامس: البعد الفلسفي للزمن في النص القرآني

لا يمكن مقاربة الزمن في النص القرآني من منظور سردي فني فقط، دون الغوص في أبعاده الفلسفية التي تشكّل خلفيته العميقة وتُوجّه مقاصده الدلالية, فالزمن في الرؤية القرآنية ليس محايدًا، بل هو كيان معنوي يتجاوز القياسات البشرية المألوفة، ليعبّر عن علاقة الإنسان بالمطلق، ويكشف عن التصور القرآني للعالم والوجود والحياة والمصير. وفي هذا المبحث، نركّز على استجلاء الأبعاد الفلسفية للزمن كما تتجلى في القصص القرآني، وذلك من خلال عدّة محاور جوهرية:

الزمن بين النسبي والمطلق:

يميز القرآن الكريم بوضوح بين الزمن الإنساني المحدود، والزمن الإلهي المطلق، وتظهر هذه الرؤية في القصص القرآني حين يُعرض الحدث في سياق زمني محدد، ثم يُربط بمآلاتٍ أبدية, أو بحقائق غيبية تتجاوز المقاييس الزمنية المألوفة. مثال ذلك ما ورد في قصة أهل الكهف: **(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا**

تِسْعًا), (الكهف: 25). ثم يعقبها مباشرة: **(قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا)**، أي أن الزمن في مقياس البشر نسبي، بينما علمه عند الله مطلق, وبذلك يُفهم أن الزمن في الرؤية القرآنية غير منفصل عن المعرفة الإلهية، وأن قياسه لا يكون بالدقائق والساعات فحسب، بل بالمقاصد والنتائج والغايات.

الزمن بوصفه وسيلة للابتلاء والتربية

ويتجلى الزمن في النص القرآني، بوصفه وسيلة لتربية النفوس واختبارها عبر الصبر أو الانتظار أو التكرار. فليس الزمن مجرّد إطار، بل هو أداة للغربلة الروحية, وقصة نوح عليه السلام – على سبيل التمثيل – تعبّر عن هذا بجلاء، إذ قضى في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا، في استمرارية زمنية تكشف عن بعد عميق في فلسفة الابتلاء بالزمن: **(فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)**, (العنكبوت: 14). فالزمن هنا ليس رقمًا حسابيًّا بل امتحانٌ إلهيٌّ للصبر والثبات والثقة بالوعد الإلهي، وهو ما يؤطر السرد كله ضمن بعد فلسفي أخلاقي.

الزمن وجدلية الثابت والمتحول

يعرض النص القرآني الزمن بوصفه عنصرًا كاشفًا لتحولات الشخصية والفكرة والموقف, فالشخصيات لا تتكرر كما هي، بل تتغير عبر الزمن, والمجتمعات كذلك تتغير، لكن هذا التغير ليس عبثيًّا، بل يحمل في طياته قوانين تحكم المصير. كما في قوله تعالى على لسان يوسف: **(هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)**, (يوسف: 100). فهنا تتحقق رؤيا الطفولة بعد مرور زمن طويل، لتأكيد أن الزمن هو المجال الذي تنكشف فيه السنن الإلهية.

الحضور القرآني للزمن بوصفه قيمة وجودية

والزمن في القرآن الكريم يتعدى كونه مسارًا لحركة الحياة، ليصبح قيمة في ذاته، يتم التعامل معه بوصفه من أعظم نعم الله على الإنسان, فمرور الزمن مؤشر على اقتراب الأجل، وفرصة للنجاة أو التوبة، مما يضفي على كل لحظة زمنية بعدًا أخلاقيًّا وروحيًّا. ويبرز هذا في قصص منها قصة فرعون، الذي يُمنح الزمن بطوله، لكنه لا يستثمره في التوبة، بل في الطغيان، حتى يُقضى عليه في لحظة خاطفة عند البحر: **(حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ)**, (يونس: 90). لكن الإيمان حينها لا يُقبل، لأن الزمن المخصَّص له قد انقضى بما لا ينفع.

الزمن والخلود: البعد الأخروي

ومن أقوى أبعاد الزمن الفلسفية في النص القرآني هو مقابلته لمفهوم الخلود؛ فقصص الأنبياء، وقصص الجنة والنار، تنقل رسالة مفادها أن الزمن الدنيوي محدود، وأن ما بعده (الخلود) هو الغاية الكبرى التي يجب أن يُفهم الزمن في ضوئها. ويأتي التصوير القرآني لهذا البعد من خلال تكرار مشاهد القيامة، أو الرجوع إلى الماضي من قبل المجرمين: **(يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)**, (البقرة: 96). أو: **(يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ**

ٱلْعُلَمِينَ), (المطففين: 6). بهذا، يُصبح الزمن تجليًا لرؤية قرآنية وجودية تجعل من الزمن أداة تذكير بالبعث والحساب والجزاء، وتُوجّه السرد كلّه نحو الغائية.

ينطوي الزمن في النص القرآني على فلسفة متكاملة لا تنظر إليه كحركة ميكانيكية اعتباطية، بل بوصفه وجودًا قصديًّا مكتنزًا بالمعنى والدلالة، يربط الإنسان بالمطلق، ويمتحن وعيه واختياراته، ويُشكّل مسار تحوّله الروحي والأخلاقي, وهو عنصر سرديّ وجمالي وفلسفي في آنٍ واحد، يدمج البنية الفنية بالرؤية الشمولية الكونية، في تشكيلٍ سرديٍّ فريد لا نظير له في الأدبيات الدينية أو السرديات البشرية الأخرى. وبهذا، فإن دراسة الزمن في القصص القرآني لا تنفكّ عن جوهر الرسالة القرآنية نفسها, التي تُنبئُ المتأملَ برؤية متكاملة لوجود الإنسان في الزمن، ووجود الزمن في حياة الإنسان.

النتائج

تستنتج هذه القراءة التأويلية للنص القرآني بعضًا من مكامن الجمال والعمق التي تتجلى في تلاحم الرؤية القرآنية الكونية بالتشكيل السردي, ومحورية الزمن في النسيج الإلهي المنسجم, بما يمثِّله من بُعدٍ بنيويٍّ أصيلٍ، يُسهم في توجيه السرد، وترسيخ معانيه، وتكثيف آثاره الجمالية والروحية. فضلًا على ذلك تكشف الدراسة عن تعدد أنماط الزمن السردي في القصص القرآني، من استرجاع واستباق وطيّ زمني، يدل على أسلوبٍ قرآني خاصٍّ في استعمال أساليب السرد، ويكشف عن وظيفة بلاغية وفنية واعظة، تهدف إلى التركيز على العبرة لا الترتيب التاريخي. الزمن في القصص القرآني مرتبط بمقاصد دينية وروحية، وهو أداة لتأكيد مفاهيم العقاب والثواب، والصبر والابتلاء، والمآل الإلهي للإنسان، تتجاوز الوظيفة الإخبارية.

كما استُعملَ الزمن في القرآن الكريم بوصفه أداةً لإعادة بناء وعي المتلقي، من خلال تقديم نماذج زمانية تتجاوز الحسّ السطحي للعمر، لترتفع إلى الإحساس الأخروي الذي يدعو إلى التفكُّر والتدبُّر, والنظر إلى حتمية الإرادة الإلهية، كما في قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام وفرعون, وقصة نوح عليه السلام، وغيرها. إن الرؤية القرآنية للزمن تدمج بين الفلسفة والرسالة، إذ تعرض الزمن بوصفه أداة للاختبار الإلهي، ولتحقيق السُّنن الكونية، وترتبط هذه الرؤية بمفاهيم الخلق، والبعث، والتاريخ، والعاقبة، مما يمنح الزمن بعدًا وجوديًا شاملًا.

كما استنتجت الدراسة أن القصص القرآني لا يقدّم تسلسلاً تاريخياً خطّياً للأحداث، بل يُخضع ترتيب الزمن لسياقات الأهداف الجوهرية في الرسالة القرآنية، وهو ما يدل على مركزية المقصد في التوجيه الزمني للسرد. كما أن الزمن يمثِّل أداة مرنة لتصعيد التوتر القصصي وتحوّل الشخصيات، بحسب ما يظهر في القصص التي تمتد عبر مراحل زمنية طويلة ومنها قصة يوسف عليه السلام، وهذا ما يمنح السرد القرآني طابعًا إنسانيًّا وواقعيًا في الوقت ذاته.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المصادر

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب والدراسات:

1_ ابن الأثير, الكامل في التاريخ, ج1, تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 1407ه, 1987م.

2_ أبو الخير, إلهام أبو الخير, الزمان عند أفلاطون وأصوله المشرقية القديمة: دراسة هيرمينوطيقية, سلسلة أبحاث المؤتمر الدولي (كيف نقرأ الفلسفة), المجلد 4 العدد 1, الرقم التسلسلي للعدد: 7, 2018م, كلية الآداب/جامعة الاسكندرية. https://philos.journals.ekb.eg/article_121742.html

3_ أفلاطون, المحاورات الكاملة (محاورة طيماوس), المجلد 5, ترجمة: شوقي داود تمراز, الأهلية للنشر, بيروت, 1994م.

4_ بدوي, عبد الرحمن, الزمان الوجودي, دار الثقافة العربية, بيروت, 1973م.

5_ رونتال, يودين, الموسوعة الفلسفية, لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين, ترجمة: سمير كرم, ومراجعة: د. صادق جلال العظم, و: جورج طرابيشي, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, ط5, 1985م.

6_ الزبيدي, المرتضى, تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق: عبد الستار أحمد فراج, مؤسسة الكويت للتقدم العلمي, 1422هـ / 2001م.

7_ ستيس, ولتر, تاريخ الفلسفة اليونانية, ترجمة: مجاهد عبد المنعم, دار الثقافة, القاهرة, 1984م.

8_ السواح, فراس, الأسطورة والمعنى: دراسة في الميثولوجيا والديانات المشرقية, التكوين للطباعة والنشر, ط7, 2017م.

9_ السواح, فراس, مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة, سوريا _ أرض الرافدين, دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة, ط11, دمشق, 1996م.

10_ الشامي, د.علي, الفلسفة والإنسان: جدلية العلاقة بين الفكر والوجود, منشورات دار الإنسانية - بيروت ط1، بيروت 1991م.

11_ شبر, العلامة المحقق السيد عبدالله, تفسير القرآن الكريم, دار الأسرة للطباعة والنشر, إيران, ط5, 1426ه.

12_ شتراوس, كلود ليفي, الأسطورة والمعنى, ترجمة وتقديم: د. شاكر عبد الحميد, مراجعة: د. عزيز حمزة, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ط1, 1986م.

13_ الصدر, السيد محمد باقر, السنن التاريخية في القرآن, أعاد صياغة عباراته وترتيب أفكاره: الشيخ محمد جعفر شمس الدين, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط1, 1432ه-2011م.

14_ الصدر, السيد محمد باقر, فلسفتنا, مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر, قم, ط3, 1431ه.

15_ العاتي, إبراهيم, الزمان في الفكر الإسلامي, دار المنتخب العربي, بيروت, 1993م.

16_ غريزي, وفيق, شوبنهاور وفلسفة التشاؤم, دار الفارابي, بيروت, ط1, 2008م.

17_ القاضي, مجموعة من المؤلفين بإشراف: مخمد القاضي, معجم السرديات, الناشر: دار محمد على للنشر، تونس الطبعة: الأولى، 2010م.

18_ كرم, يوسف, تاريخ الفلسفة اليونانية, لجنة التأليف والترجمة, الاسكندرية, 1936م.

19_ لحمداني, حميد, بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1991م.

20_ مطهري, الأستاذ الشهيد مرتضى, الفلسفة, دار التيار الجديد, بيروت, د.ت.

21_ كاظم, اسيل سالم, (2022). البنية السردية للخبر في القصص القرآني قصة يوسف أنموذجا .*لارك*-162 ,(5)*14* , 144. https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss47.2575

22_ النعيمي, د. أحمد إسماعيل, الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام, سينا للنشر, القاهرة, 1995م.

Translation: References / Sources

First: The Holy Qur'an.

Second: Books and Studies:

1. Ibn al-Athir. Al-Kamil fi al-Tarikh [The Complete History], Vol. 1, edited by Abu al-Fida' Abdullah al-Qadi, Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1407 AH / 1987 CE.
2. Abu Al-Khair, Elham Abu Al-Khair. Time in Plato and Its Ancient Eastern Origins: A Hermeneutic Study. Proceedings of the International Conference "How Do We Read Philosophy?", Series: Researches of the International Conference, Vol. 4, No. 1, Serial No. 7, 2018, Faculty of Arts, University of Alexandria. https://philos.journals.ekb.eg/article_121742.html

3. Plato. The Complete Dialogues (Timaeus Dialogue), Vol. 5, translated by Shouqi Daoud Tamraz, Al-Ahliya Publishing, Beirut, 1994.
4. Badawi, Abdul Rahman. Existential Time, Dar Al-Thaqafa Al-Arabiya, Beirut, 1973.
5. Yudin Rontal. The Philosophical Encyclopedia, prepared by a committee of Soviet scholars and academics, translated by Samir Karam, reviewed by Dr. Sadiq Jalal Al-Azm and George Tarabichi, Dar Al-Taliaa for Printing and Publishing, Beirut, 5th edition, 1985.
6. Al-Zubaidi, Al-Murtada. Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus, edited by Abdul Sattar Ahmed Farrag, Kuwait Foundation for the Advancement of Sciences, 1422 AH / 2001 AD.
7. Stace, Walter. A History of Greek Philosophy, translated by Mujahid Abdul Moneim, Dar Al-Thaqafa, Cairo, 1984.
8. Sawwah, Firas. Al-Usṭūrah wa al-Maʿnā: Dirāsah fī al-Mīthūlūjiyā wa al-Diyānāt al-Mashriqiyyah. Al-Takwīn for Printing and Publishing, 7th edition, 2017.
9. Al-Sawwāḥ, Firas. The First Adventure of the Mind: A Study in Mythology, Syria – Mesopotamia, Alaa Al-Din Publishing and Distribution, 11th ed., Damascus, 1996.
10. Al-Shami, Dr. Ali. Philosophy and the Human: The Dialectic Relationship between Thought and Existence. Dar al-Insaniyya Publications – Beirut, 1st edition, Beirut, 1991.
11. Shubbar, Allama al-Muhaqqiq Sayyid Abdullah. Tafsir al-Qur'an al-Karim. Dar al-Usra for Printing and Publishing, Iran, 5th edition, 1426 AH.
12. Lévi-Strauss, Claude. Myth and Meaning. Translated and introduced by Dr. Shaker Abdul Hamid, revised by Dr. Aziz Hamza. Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Amma, Baghdad, 1st edition, 1986.
13. Al-Sadr, Sayyid Muhammad Baqir. The Historical Laws in the Qur'an. Rephrased and rearranged by Shaykh Muhammad Ja'far Shams al-Din. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, 1st ed., 1432 AH / 2011 CE.
14. Al-Sadr, Sayyid Muhammad Baqir. Our Philosophy, Center for Research and Specialized Studies of Martyr Al-Sadr, Qom, 3rd edition, 1431 AH.
15. Al-'Ati, Ibrahim. Time in Islamic Thought, Dar Al-Muntakhab Al-Arabi, Beirut, 1993.
16. Ghraizi, Wafiq. Schopenhauer and the Philosophy of Pessimism, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st edition, 2008.
17. Al-Qadi, edited by Muhammad Al-Qadi (et al.). Dictionary of Narratology, Dar Muhammad Ali Publishing, Tunisia, 1st edition, 2010.
18. Karam, Youssef. A History of Greek Philosophy, Committee for Authorship and Translation, Alexandria, 1936.
19. Lahdami, Hamid. The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Al-Markaz Al-Thaqafi Al-'Arabi for Printing and Publishing, Casablanca, Morocco, 1st edition, 1991.
20. Motahhari, Martyr Murtadha. Philosophy, Dar Al-Tayyar Al-Jadeed, Beirut, n.d.
21. Kadhim, Aseel Salem. The Narrative Structure of the Report in the Qur'anic Story: The Story of Joseph as a Model. Lark Journal, Vol. 14, No. 5, 2022, pp. 144–162. https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss47.2575
22. Al-Nuaimi, Dr. Ahmad Ismail. Myth in Pre-Islamic Arabic Poetry, Sinaa Publishing, Cairo, 1995.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية